ما حدث بالأمس

إعتصرته الشمس،طفح العرق على قميصه بقعا من الملح،هش العصافير التى تنقر فى جمجمته ،خلع نظارته الطبية.مسحها لكنه لم يتخلص من صور النهود الرجراجة وعيون قطط الشوارع الملونةالتى تطارده حتى فى أحلامه.

فى حفل تكريمه بالأمس سلموه وسام القصة ولكنهم لم يسلموه خمسين جنيه ثمن المواصلات فمشى على قدميه من ميدان التحرير إلى ميدان إلى ميدان الكيتكات بإمبابة.

... نظر إلى عقارب ساعته الموتورة وجدها تسير بسرعة عداد الكهرباء.

لما شاهد الأتوبيس قادما وضع شنطة يده بين أسنانه فى وضع الاستعداد. الأتوبيس قادم كطائرة ورقية يجر خلفه زيلا طويلا من البشر منقوعى الوجوه يهشون الخوف عن وجوههم يصرخون.يضربون بأيديهم صاج الأتوبيس يجعرون :

- **(حاسب يا اسطى .....حاااااااسب)**

يحاول كل منهم دفع مؤخرة الآخر فى رعب.

يضع إحدى قدميه داخل الأتوبيس المزدحم جدا.

انحشر على السلم يدفعونه إلى الداخل،يتحسس مؤخرته فى رعب.

سقطت قصائده تحت أقدام الراكبين يدوسونها ويتصايحون..حاول أن يلتقط أوراقه ،"قصائده وأحلامه النيئة".

سقطت فردة حذاءه ، حاول التقاطها لكنه وجد جسده مدفوعا إلى منتصف الأتوبيس تاركا عينيه مع فردة حذاءه التى سقطت إلى براح الشارع وهو يخبط بكفيه فى سقف الأتوبيس يصرخ

– "حاسب يا اسطى ..جزمتى ضاعت ..حاسب يا اسطى"

السائق يفتح فمه المثرم عن ضحكة طويلة ممطوطة

يدوس بنزين ،فتندفع السيارة فى سرعة مفرطة

- (خلى بالك من البنطلون هههههههههه)

وتوالت تعليقات ساذجة وراح الناس يفرغون قهرهم فى ضحك هستيرى مستمر.

قال بائع المناديل الورقية وهو محشورخلف مؤخرة امرأة:

- "لو جزمتك بتحبك هتسبقك ع البيت هههه هاى "

توقف الأتوبيس. اندفع محاولا النزول..حذق بشدة وهو يحاول الخروج من باب الأتوبيس،أحس بألم فى مؤخرته..اندفع على الرصيف،توقف للحظات.مسح نظارته الطبية تأكد من وجود جريدة أخبار الأدب فى يده وصورته فى الصفحة الأولى ،المركز الأول على الوطن العربى .

قرر العودة للبحث عن فردة حذائه.

عيون الناس فى الشارع تتبعه ينظرون إلى مؤخرته وإلى فردة حذائه ويتهامسون.

فكر قليلا .."الجرى مفيد للصحة"

راح يجرى يتبعه ظله المهدود،وعيناه تمسحان أرض الشارع بحثا عن فردة حذائه يدعو الله أن يعمى عنها عيون الذبالين والكناسين وأطفال الشوارع.

أخيرا لمحها ملقاة على وجهها فى منتصف الشارع والسيارات تدهسها ذهابا وإيابا.

انقض عليها غير عابىء بصوت فرامل السيارة التى كادت أن تدهسه،التقطها وفقز إلى الطوار يتفحصها يضعها فى قدمه وقد انبعجت وأصبح شكلها غريبا.

راح يجرى على الطوار حتى وصل إلى مقهى "سلامه سنبل "الذى بمحطة الكيتكات .

القى جسده المهدود على الكرسى ..خبط كف بكف ونادى بصوت واهن :

- "شاى مر علقم يا توحه".

ارتشف الشاى ، أحس ألما فى مؤخرته ،نذكر ماحدث بالأتوبيس ..قفز يتحسس مؤخرته ،أرعبه لون الدم وتأكدمن شق جيب بنطاله وسرقة حافظة نقوده .

تعجب كيف لم يشعر بالموس الذى شق الجيب وانغرس فى اللحم .جز على أسنانه بغيظ ،تصفح جريدة أخبار الأدب وتركها بجوار كوب الشاى الفارغ ،ترنح وكأنه جسد بلا رأس جارا قدميه فى إتجاه شقته.

صعد السلم إلى الدور الثالث ، وضع المفتاح فى الكالون ليفتح الباب.أتاه صوتها..

- "حمدالله على السلامةيا أستاذ ماضى "

وراحت تتراقص وتدندن:

"كان فعل ماضى ما تسيبه فى حاله "

وماضى احنا مالنا وماله "

ثم أردفت :

- "صورتك منوره الجرنال يا سى ماضى"

ابتسمت ومدت يدها :
- فاتورة الكهرباء .

دفعت لك فاتورة الكهرباء.

هزت صدرها الرجراج العارى ولوحت بزراع مثقل بالأساور الذهبية.

"قلت يا بت يا "نوسة" الناس لبعضها وأنت شاعر وبتفهم فى الأصول "

وراحت تتمايل كمهرة برية تدندن:

"ماضى مانسيبه فى..... حاله....ومالوه "؟؟؟

ابتلع ريقه الذى جف وأصبح بطعم العلقم.مديده وأخذ فاتورة الكهرباء .

وهم بالدخول إلى شقته فهمت به وغلقت فى وجهه طرق الهروب بأن تحركت إليه واضعة إحدى يديها على حلق الباب واليد الأخرى فى خصرها الملفوف ورفعت صدرها إلى عينيه وصهلت كفرسة برية :

- مالك يا سى ماضى ؟؟

أحس رعشة تزلزله من الأعماق.تصعقه ،غرس عينيه بين نهديها ثم انحدر إلى بطنها وأشاح بوجهه إلى الأرض:

- "أنا ماضى ياست نوسه ..ماضى
- ..مااااضى".

قال ذلك وهو يكاد يختنق.

استمتعت بخجله واستدارت إلى باب شقتها ،استرق نظرة إلى مؤخرتها وأغلق باب شقته على نفسه .

جلس بالصالة يتأمل الشق الموجود بالحائط ، أشعل سيجاره دخنها

الدخان يملأ المكان .يتصاعد فيبدوكثيفا ويتفرق عند اصطدامه باللمبة الصفراء المشنوفة بالسقف .

فى الفيلم الأخير الذى شاهده فى جمعية الفيلم أعجبه جدا جسد البنت الشقراء وهى ترتدى الاستيرتش.

يحدث نفسه.

أه لو ترتدى "نوسة" ذلك الاستيرتش .كنت آخد دور البطل

أمسك كتاب شمس المعارف الكبرى الذى اشتراه من سورالأزبكية كى يستجلب شياطين الشعر والكتابة ..ولما انتهى من تلاوة تعاويذه حاوطته شياطين الكآبة. أشعل سيجارة أخرى من عقب الأولى .ألقى بالكتاب محدثا نفسه

.."ماشيطان إلا بنى آدم هههههه".

ملعونة الفلسفة ملعون فرويد وكانط كلهم كدابين ..أحس بألم فى مثانته ،دخل إلى الحمام .تأمل الجرح فى مؤخرته ،بال وهو يتألم .

أحس ألما فى عضوه وحرقان شديد ، الدكتور قال احتمال يكون التهاب البروستاتا.

لما ذهب إلى طبيب آخر نهره بشدة

- أنت متجوز ؟؟؟

ولم يجب ..

- "أكيد أنت إنسان عكاك اتق الله فى نفسك"

وأردف .."عندك سيلان ..علشان تبطل ترمرم."

تذكر ..لما احتوتة تلك المرأة المتخشبة الصدر كانت بقعة من الدم أسفل قميصها لكنه أغمض عينيه .

داهمه قرف مفاجىء ..ارتدى ملابسه .أحس ألما فى خصيتيه وظهره .

تعلقت برقبة وفمها فى فمه :

- "نستحمى الآول.؟
- "سيبنى أمشى"

ويدفعها محاولا الابتعاد عنها ،تندفع إليه وتلف يديها حول عنقه وصدرها فى صدره تماما:

- "عجبتك؟؟؟"

يصمت ..فتزووم

- "إوعى تفتكر إنى ؟؟؟؟أنا أول مره أخون جوزى" ..

أحس بالدهشة والدوار ،دفعها عنه :

- "حاسس أنى دايخ وعايز أرجع اللى فى بطنى" ..

أمسك ديوان نزار قبانى يقلبه .ثم جلس يتفحص الأدويه ويقرأ نشراتها ،جميعها مضادات حيوية ، بصق

"طظ فى الشعر ،طظ فى الستات والفلسفة ونوسه وأشباهها"

**

أشعل سيجارة محدثا نفسه وهو يتأمل الشق والرشح بالسقف مقلدا صاحب العمارة :

- "حصوة فى عين اللى مايصلى على النبى ،البيت ده متين ومبنى بمزاج هههههه"

الدخان يتصاعد حتى يصطدم بسقف الغرفة ويدور حول اللمبه الصفراء المعلقة بالسقف.

يفتح التليفزيون ،وتتوالى أخبار هزائم العرب فى اليمن وفى العراق وفى سوريا ،يزداد الألم فى مؤخرتة وحرقان شديد

يغلق التليفزيون ، يبصق.

تذكر آخر مرة قبل أن يترك قريتة ويتوه فى زحام القاهرة

علبها الأسمنتية القاتمة "شوارعها المعجونة بوجوه الناس .

شيخ القرية أكد عليه أن يلتزم بالصمت مهما رأى لأن البيوت أسرار وأن الباشا الذى سيذهب للمبيت معه فى الفيلا يخاف أن يبقى وحيدا وأكد له أن حراسة ذلك الباشا ليست عملا مرهقا ،فقط لن ينام الا بعد نوم الباشا وأنه أعد له سريرا فى غرفة بالدور السفلى .

قالو له أن تلك الفيلا مسكونة بالشياطين ولم يصدق .

صلى المغرب فى مسجد القرية وتوجه ألى الفيلا .

مبى أنيق محاط بالأشجار من كل اتجاه البيوت الطينية القروية المتناثرة حوله تجعله مهيبا ومخيفا أيضا . ووجده هناك بشعره الأبيض جالسا وفى يده جريدة يتصفحها .رمقه بعينين واسعتين وأومأ اليه ليجلس فى الكرسى المجاور .ناوله الجريدة وقال فى هدوء :

- **قالو لى أنك شاعر كبير ..ممكن تقرأ لى صفحة أخبار الأدب**

لمح الخجل فى وجهه ، فاردف قائلا:

- **سمعنى صوتك ..ولا أقول لك سمعنى قصيدة من قصائدك لو كنت شاعر بجد.**

كان" ماضى" فى تلك الفترة يمر بتغيرات نفسية وحياتية كبيرة بعد موت أمه فألقى قصائد كلها شجن وكان الرجل المسن يبتسم ويضع على الطاولة ورقة نقود جديدة كلما انتهى من قصيدة .ثم وضع كل النقود فى كف" ماضى" .

دخل الرجل المسن إلى غرفة نومه ونزل "ماضى" للنوم فى الغرفة المخصصة له بالدور السفلى .

ولما اطمئن لنوم الرجل .تمدد على السرير مدهوشا فرحا، لأول مره أصبح له سرير يفوح بالعطر .لم يستطيع النوم من شدة الفرح و النقود التى نفخت جيبه الليلة الأولى مرت بسلام واستيقظ فى الصباح وكأنه فى حلم صيفى .

فى الليلة الثانية ولما حان موعد النوم .نزل الى الدور السفلى ولما دخل إلى غرفته واستقر فى السرير الناعم الذى يفوح بالعطر.سمع صرخات ترج الفيلا .قفز من السرير خارجا من الغرفة صوت الصراخ بالدور العلوى صرخات امرأة وليس رجل..تسحب صاعدا ليطمئن على الرجل ،داهمه صوت تحطم وكأن أوانى نحاسية ترتطم ببعضها .تسمر فى مكانه وحط هدوء مفاجىء على الفيلا ..كذب أذنيه وراح يضحك ساخرا من نفسه لما وجد الرجل نائما فى غرفته .تسحب على أطراف أصابعه نازلا

إلى غرفته يكاد يحدث نفسه ..دخل إلى غرفته وأغلق بابه وداهمه خوف خرافى عندما سمع ضجيجا فى الغرفة المجاورة زغاريد وأصوت نساء يضحكن ..

هو يعلم جيدا أن الغرفة المجاورة لغرفته مغلقة بقفل قديم وصدىء..

ظل طوال الليل يرتجف وفى الصباح تأكد أن سرواله مبلول فصمم ألايعود إلى الفيلا أبدا ..ركب القطار المتجه إلى القاهرة وتاه بين التائهين ..

*****

تحسس الجرح الذى بمؤخرته وأشعل سيجارة أخرى

يمسك صورة حبيبته "ليلى" البنت التى حلم بها وحلمت به .لما قبلها بين عينيها فى المرة الأخيرة ابتسمت قائلة :

- **"أنا خايفةأحسن تضيع منى ،لو بتحبنى صحيح تبطل بحلقة فى النسوان "**

ضحكا معا..قالت

- **اوعدنى تبطل رمرمة وتاخد دواك فى ميعاده.**

قفز من مكانه كالممسوس .محدثا نفسه "ميعاده ميعاده ؟؟ميعاد "ليلى "

فتح علبة لبوس وضع واحدة فى فتحة شرجه ،.

صفف شعره وقفر السلالم خارجا إلى الشارع .

يوقف تاكسى ..يتحسس الجرح بمؤخرته وجيب بنطاله المشقوق يتذكر أنه فقد حافظة نقوده وقصائده ،

- "آسف يا اسطى ..أنا هاخدها مشى"

السائق يبتسم ابتسامة صفراء :

"عالم مجانين". ينظر إلى فردة حذائه التى دهكتها السيارات والأيام وقد تغير لونها فبدى وكأنه بهلوان يرتدى فردتى حذاء مختلفتين تماما.

يبتلع ريقه المر بطعم العلقم ويتخلله هم وغيظ عميقين ..يتذكر وجه"ليلى" حبيبته .

يبتسم ،يسرع الخطا ، يهرول ،يجرى فى خطا منتظمة ..

****

يصل إلى الحديقة العامة الهادئة مكان لقائهما المفضل ،يجول بعينيه فى المكان،يراها وسط الزهور،يجرى إليها .تجرى ناحيته وفى يدها زهرتان ،يكادا يتعانقا.تتسع عيونهمابفرح طفولى ،يقبض على يديها ويدوران فى الحديقة .يحلسان بالقرب من النافورة ،يقبل كفيها

.أصابعها..أظافرها تم يرفع وجهه ببطىءمحدقا فى عينيها منحدرا إلى شفتيها ،تغمض عينيها ،ترتعد،:

- "بلاش كده بدوخ"

يضغطها إلى صدره، تتعانق الأعين ،تهمس ،"أنت مجنون"

تنفلت منه ، يهمس "بحبك" ويرتفع ماء النافورة فى الهواء ليتشكل فى ضوء الشمس المائلة للغروب بلورات رائعة.

يجريان على الحشائش، يختفيان فى ظلال الأشجار لثوان. يحكى لها ماحدث ويريها الجرح الذى بمؤخرته ويحكى لها ما فعلته فردة الحذاء المجنونة وعن فوزه بالمركز الأول فى مسابقة القصة القصيرة تضحك ساخرة

- "أهم حاجة هتاخد كام ؟؟

تصيبه دهشة ..يشعر بقرف..

يتوارى بين الأشجار "يبول وهو يتألم"

تضحك ..

يجلس بجوارها ، ويضحكان.يفرك عضوه بطريقة جنونيه ويتألم ..

-"علشان تبطل دناوه"

ثم أردفت :

- "أنا اللى أستاهل ..مستنياك ونفسى اتجوزك وأنت ولا فى بالك"

تنهدت قائلة :

- "آه ابن عمى بيلمح ..وأنت لازم تقابل بابا وكل شيء ممكن يتدبر ،بس انت حس وسيبك من حكاية الشعر والقصص دى ، دا الشعر ما يأكلش عيش" ..

يرفع يدها إلى فمه يقبل كف يدها يضمهما إلى صدره وبالقرب من باب الحديقة يهمس لها :

- "بحبك "

تبتسم

- "هستناك"

يعدها أنه سيزورهم فى الغد.يغمرهما فرح طفولى ، وقبل أن يفترقا يخطف قبلة سريعة بين شفتيها ثم يواصل المشى ، يسرع الخطا ..

يهرول ، طوال الطريق يحلم ..كلماتها تتردد فى رأسه..إبتسامتها الحلوة..حرارة كف يدها بين يديه.

هدأ من مشيته..تسكع فى الشارع يتأمل الفاترينات ، واجهات المحال التجاريه ..يقرأ أسعار فساتين الزفاف..بدل الرجال وأربطة أعناقهم..أسعار الأحذية الفاخرة .

****

يصعد السلم إلى شقته ..يدندن..يفتح باب الشقة ،يجلس بالصالون "كرسى خرزان قديم وطاوله عجوز متهالكة ،يدقق النظر إلى الشق الموجود بالحائط يخيل إليه أنه اتسع حتى صار شرخا كبيرا.

راح يخبط أصابعه فى رأسه وكأنما يهش عصافير الخوف من جمجمته يتأمل صورة أمه المعلقة على الحائط فى برواز باهت قديم ،عندما ترك القرية قادما إلى القاهرة بكت أمه وقبلته ودعت له :

"روح يا ابن بطنى ربنا يوقف لك فى سكتك أولاد الحلال، ويرزقك ببنت الحلال اللى تريح بالك"

ذرفت عينيه دمعتان ،تمنى لو يملك بساطا سحريا يحمله إلى قريته ..إلى قبر أمه .

أحس أنه فى حاجة شديدة للبكاء، بكى بشدة.

أمسك كتاب فرويد تصفحه ثم ألقاه جانبا وأشعل سيجارة دحنها وفتح التليفزيون الأبيض والأسود الملصوقة عظامه بالبلاستر

القناة الأولى وموجز أهم الأنباء:

" القوات الأمريكية تلقى القبض على صدام حسين."

"مقتل أكثر من خمسة آلاف عراقى فى تفجير فى البصرة"

"حزن شديد وحداد عام فى بريطانيا لموت قرد من النوع النادر"

"انهيار برج الأسكندريه بسبب غش فى حديد التسليح والأسمنت "

يقفز من مكانه ،يحدق فى الشق الموجود يالسقف .

يفتح الثلاجة القميئة يحضر طبق خيار مملح يفتح زجاجة بيره "الدكتور أوصاه بالإكثار من شرب البيره والشعير المغلى "شرب وراح يتحرك فى الغرفة وكأنه مجنون.

أمسك بعض قصائده القديمة والمنشورة فى جرائد كثيرة

وكومة من الأوسمة وشهادات التقدير الأدبية يقلبها ويضحك محدثا نفسه.

"مين يشترى كتاب ويدينى خمسين جنيه ؟؟ كتابين ويدينى ألف جنيه بس"

..يقفز ليجلس فوق الطاولة القديمة واضعا يديه على رأسه يسترجع كل ماحدث..يبكى ثم يضحك .يترنح من شدة الضحك والدموع تفيض بعينيه.